

آثار ادبية

سبيل الصلاح - أطرفنا بنسخة من هذا الكتاب النفيس وهو مجموع الخطب التي ألقاها قدس الحبر الجليل العلامة المنطيق السيد جرمانس المعقد مطران اللاذقية في الكنيسة الكبرى بدمشق أيام الصيام الكبير من سنة ١٨٩٦ . وهي تسع عشرة خطبة مطوّلة في اغراض مختلفة جمع فيها بين حاشيتي الدين والفلسفة وادوعها من نفحاته القدسية وعباراته القسيّة ما يُستروح منه نسيم الجنان ويملك أَعنه السمع والجنان ومن قوة الحجج المنطقية واشعة البراهين العلمية ما تتلقاه الابواب بالاذعان وتستتير به البصائر والاذهان الى زواجر تُردّ بمثلها الاهواء عن الجماح ونصائح تُقتاد بها النفوس الى سبيل الصلاح فجزاه الله على هذا التأليف وغيره خير ما جرى به ذويع الاحسان ولا زلنا نتلقى من نوابغ علمه ما ينطق بحجبتنا يوم تعشى البصائر ويتلجج اللسان

فاكهة النديم في تهاني السليم - انتهت الينا نسخة من كراسة بهذا العنوان تشتمل على مجموع القصائد التي نظمت لحضرة الوجيه الامثل سليم باشا الملحمة تهنئة له برتبة الوزارة السنوية جمعها وطبعها حضرة الاديب جرجي افندي مرعي صاحب المكتبة اللبنانية في البترون . وقد تصفحنا بعضها على قدر ما وسعه وقتنا الضيق وفسح لنا تراكم الاشغال فرأينا فيها من غرائب النظم ما استوقفنا وايم الله بين الحيرة والاسف لما تمثل لنا من

تخلف صناعة الادب في بلادنا السورية مع ما نعلم فيها من زيادة وسائل انتشار العلم وكثرة المدارس والدارسين وتميننا ان لا يكون ذلك عن تراجع في الفطرة وانتكاس في استعداد السلالة الشرقية التي طالما لمعت اشعة ذكائها في العصور الغوابر . لا جرم ان مثل هذا لما تنقبض له صدور الآمال ويكفهر له حياء الاستقبال ومما يسجل على الشرقي تمام الانحطاط والاضمحلال لولا اننا لم نزل نشاهد من نجابة مواطنينا الاعزاء ونوابغ عقولهم حيثما انقلبوا وفي ابي مأخذ شرعوا ما يؤيد ان شعلة ذلك الذكاء لم تبرد توقد في فطرهم الشفافة وما استبنا منه ان ما ظهر لنا من ذلك التخلف لم يكن عن نقص في الغرائز ولا قصور في الذكاء وانما هو من نقص العلم وسوء التلقين وفقد المنبهين على العثرات والمسددين في طريق العمل مما سول للقاصر ان يتناول الى ما يفوت يده من الغايات وازاه طريق الفضل سهلاً فوطئه وهو لا يدري ما امامه من المهوي والعقبات فكثر المتطفلون على موائد العلم والمجترون على مقامات الشعر والانشاء على حين لا وازع يزع ولا هادي يدعو فيتبع وما كان احوج البلاد الى مسيطرين على اقلام الشعراء والكتاب كما ان فيها مسيطرين على اقلام اصحاب الجرائد السياسية وصحف الاخبار لانه ان خيف من تلك ان تضر بالمصلحة الوطنية من الجهة السياسية فان هذه ولا جرم تضر بها من الجهة الادبية بما تؤدّي اليه من فساد اللغة التي هي اعظم اركان الوطنية واهم روابط الجامعة الامية ومعلوم ان الشعر من اعلى طبقات الكلام وابعدها غاية لما يقتضيه من شرف الالفاظ ونباهة المعاني وسلامة الذوق والمبالغة في التنقيح والتهديب

فابتدأه على السنة غير اهله مما يزري به ويفسد رونقه ويسقط مزيتة
بل ربما افضى الى دفن كثير من جواهره في صدور اربابه لانه اذا اصبح
متداولاً بين ايدي العامة وابتدله من لا يحسنه أنف المجيدون له من
انتحاله وتجافى كبراء اهل القول عن نزول كنفه . وهذا ولا ريب احد اسباب
عقم الشعر في هذه الايام وانصراف الرغبة عنه الى النثر الذي لا يجلي في
حلبته الاكل من اعطته البلاغة قيادها وملكته الفصاحة عنانها ولذلك
ترى المتعرضين للشعر أكثر من المتعرضين للنثر حتى في العصر الاول
وايام كانت الفصاحة شائعة بين طبقات المتأدين على العموم
ولقد مر بنا كثير من ريك الشعر وساقط القول ولا سيما في هذه
السنين المتأخرة التي لم يبق فيها من عرف قاعدة من قواعد الصرف او
قرأ ديواناً من دواوين الشعراء الا تصدى للنظم وطير قصائده في البلاد
الا ان جل ما كنا ننكره على اولئك الشعراء خلوا كلامهم من مبتكر
المعاني وجليل الاغراض وبعد الفاظهم عن مقام الجزالة العربية التي هي
حلية الشعر ورونقه ولم نكن نتوهم ان نرى من الشعر ما يبلغ ان ينتظم
في سلك اللغو ويعد ضرباً من التخليط والهديان مما لم نزله مثيلاً الا في
كلام بعض الجرائد عندنا مما سبقت لنا الاشارة اليه في غير هذا الموضوع .
لا جرم ان هذا من فاحش التأخر بل هو نهاية السقوط والانحطاط ولولا
ان تكون تلك القصائد مطبوعة متداولة بين ايدي المطالعين لما كنا نوثر
الا سترها على اربابها تفادياً من هذه المعرة الشنعاء ونحن نروي لك امثلة
منها تكفي للدلالة على باقيا فنما قول القائل في فاتحة تلك القصائد

تسابق درّ المادحين امامه وكل غدا فيما يقول مقصراً
ولم نسمع ان الدرّ يتسابق الا في هذا البيت . وقوله
لهم اوجه منها المشاشة اشرفت وعرف به الطرف القريح تنورا
وما نعلم كيف يتنور الطرف بالعرف ولا اي مشاركة بين العين والانف .
وقوله
ولما بدت انواره وتالأأت فقلنا به يا ما اجل وازهرا
وما عابه نقص بعيد تمامه كذلك اذا خسف عراة تغيرا
وانظر ماذا تفهم من هذا البيت الاخير . ومنها قول الآخر
يميس بيردة النعمات تيباً اميناً باليمن وبالشمال
بظل ظلال من اولى البرايا بحوراً من مكارم كالرمال
وقوله
وحى اقواله كظباسة غضب نقد بجدها صعب الوصال
يطارح في مراميه بعيداً وفي شوط المصاعب لا يخالي
وقول الآخر
جلت لنا برق رعد خلب فذرى قلبي بقرب الردى في سحب هجرها
رات تدلل ليلي عند قيس كما ارى تدلل قيس في تصايها
يدنو اليها قريح الجفن تجزله ريقاً رحيق لمى برداً يوافيها
وقوله
خنت فنحت دواعي الزعر عن مهج تخال في وصلها صولاً يجافيها
جماعة الجهم والالطاف في خلق صدًا ووصلاً صلا ناراً بعاديها

وقول الآخر

الى اهلها تصبو العلى والمراتب
فلا تحسبن المجد سهلاً مناله
واقدارها عن كل قدر دلائل
فدونه بيد خل فيها الخلال

وقول الآخر

لو اسطاع ثغر الشرق زم رحاله
فوالله لم يمنعهُ عن ذلك شاغل
ليك ليحيي بالمشول ضلوعا
سوى شطط ابقى الفؤاد مروعا

وقول الآخر

اعز واحى في الشدائد والرخا
يهي لى الجلى وقد زعر الورى
وان كان اقدام فما فوقه الاجرى
فيجلو دياحيها وقد رغم الدهرا

وقس على ذلك سائر ما هناك مما نحسب المطالع اكتفى منه بهذا القدر .
ولا يزيد اولى الذوق علماً بان مثل هذا الشعر حري بان يزري . بقدر
المدوح لما فيه من امتهان ذكره وتعريضه للسخرية والاستهزاء وقد جاء
في بعض كتب الادب ان احمد بن اسمعيل بن الحبيب دخل يوماً على
سليمان بن وهب يعزيه عن والدته فقال له يا اعزك الله بي مصائب انثالت
علي من كل جانب فقال ما هي اطال الله بقاءك قال ماتت امي وغير اسمي
ورثي ميتي بهذا الشعر ورمى اليه رقعة فيها مكتوب

لأم سليمان علينا مصيبة
مجللة مثل الحسام البواتر
وكنت سراج البيت يا ام سلم
فاضحى سراج البيت بين المقابر

قال فاشتغل بالضحك عن البكاء وبالتسلي عن العزاء . انتهى . فقد رأيت
انه عد رثاء امه بهذا الشعر مصيبة اخرى فوق مصيبته فيها لما عرض

ذكرها للضحك والاستخفاف في مقام الحزن والحشوع . وانت تدري ان
المقصود بالمدح والرثاء وسائر الاغراض الشعرية تصوير المعنى باظهار الوانه
واشدها تأثيراً في النفس والمبالغة في الوصف الى آخر حد ممكن على ما هو
المعروف من مذهب الشعراء فاذا برز ذلك المدح في صورة مضحكة
وقالب مستهجن غلب ما فيه من المهجنة على محاسن اوصاف المدوح
وانصرفت النفس عن الاشتغال بتصور فضائله والاعجاب بمناقبه الى اللهو
بما ورد في كلام الشاعر من المضحكات فتواري ذكر المدوح وراء
هذا الستار الممتن

واسوأ مما ذكر وابعد مذهباً في التفهامة انك ترى منهم من يعمد
الى البيت المشهور من ابيات الذم او الرثاء فيدخل بعض الفاظه في قصيدته
او يفرغ في قلبه بيتاً من المدح فاول ما يقرأه المطالع او يسمعه السامع
يذكر ذلك البيت فيكون كالتعريض بالمدوح وذلك كقول القائل في اهداء
هذه المجموعة يخاطب المدوح

ففض طرفك ان العجز ينجلها لعزّة انت بدر في معاليها
فان اول ما يفرغ خاطر من هذا البيت قول جرير في هجاء الراعي وهو
من الشواهد المشهورة في كتب النحو

ففض الطرف انك من نيم
فلا كعباً بلغت ولا كلابا
وكقول الآخر

فلو قيل من نال العلى بلياقة اشارت اليه بالتواري الانامل
فانه سلخ البيت المشهور وهو من شواهد النحو ايضاً

اذا قيل اي الناس شرّ قبيلة اشارت كليب بالاكف الاصابع
غير انه بدل الاصابع بالانامل والاكف بالتواري والله والناظم اعلم بما اراد
بهذه اللفظة . ومثله قول الآخر

اذا قيل اي الناس واحد عصره تمدّ اليه الخلق انملها العسرا
فانه لا يبدو البيت نفسه الا انه جعل الاشارة اليه بالانامل العشر اي
بالراحتين جميعاً مفتوحتي الاصابع ومن ذلك قول صاحب هذه
القصيدة وهو بيت المطع

افيقا لسان الحمال قد نظم الدرّاً وصوت الهنا اهدى الى البشر البشري
وانظر ما محل قوله افيقا من هذا البيت وانما هو من قول المتنبي
افيقا خمّار الهمّ بغضني الحمرا وسكري من الايام جنبني السكر
والفرق بين الموضوعين ظاهر . ومن هذا القبيل قول الآخر

ركبت مطية الاخلاص بدءاً فرقيتم الى خير المال
وانما هو من قول ابي الحسن الانباري في رثاء ابن بقيقه وقد مات مصلوباً
ركبت مطية من قبل زيد علاها في السنين الماضيات
واما ما هناك من اغلاط اللغة والنحو والوزن والتقفية فامر يطول الكلام
عليه وليس من قصدنا في هذا الموضوع وقد امتد بنا نفس الكلام الى ما لا
يحتمله حال هذه القصائد ولا تتسع صفحات هذه المجلة للمزيد عليه . والله
يعلم ان ليس من غرضنا فيما اوردناه تسيط اقلام اولئك الادباء وامثالهم عن
الجري في هذا المضمار فانه ليسرنا ان نرى في قومنا من يهتم بالادب
واللغة ويشغل بالشعر والانشاء وهو ولا شك مما تفخر به البلاد ويحيا

به تمدن الأمة ولكن لا اقل من ان يكون ما يأتون به صحيح التركيب
مفهوم المعنى ولا نطالهم بالفائق ولا الجيد والا فقد كانت الأمة اجمل
واستر . وانما الذي نتوخاه هنا تنبيههم الى الثبوت فيما يكتبون وان لا
يعجلوا الى نشر ما يبدر من قرائحهم قبل تفيحه وعرضه على من يقيم من
من اوده او ينبه الى ما فيه من خطأ او لحن والا فلا اقل من ان يطلع
الواحد منهم صاحبه على ما يوجد به خاطره فان للمرء في شعر غيره نظرة
غير نظره في شعر نفسه وان لم يكن هذا ولا ذلك فيطو ما ينظمه عن
نفسه اياماً حتى يتاساه ثم يعاوده فانه حيثئذ يكون نظره فيه كنظر الاجني
ويتنبه فيه لاشياء لم يتنبه لها حال النظم . ونمسك عنان القلم على هذا القدر
تفادياً من الملل والله المسؤول ان يسد لنا جميعاً بهديه وهو حسبنا

❦ لله في خلقه آيات ❦

تقص على قرائنا الكرام نادرة مبتكرة اتفقت لنا في هذه الايام وهي ان رجلاً
— او غير رجل . . . ولكنه فياسوف في جنسه — ارسل اليه الضياء في جملة
من ارسل اليهم من المشتركين فلما بلغه الجزء الاول رده ولكن على صورة غريبة لم
نعلم معها كيف نجاربه على هذا الرد فانه جرد الجزء من اللغافة المكتوب عليها اسمه
وغلفه بلغافة اخرى وكتب عليها اسماً وسلمه الى البريد فلما صدر الجزء الثاني ارسل
اليه بالضرورة لاننا لم نتنبأ عن اسمه حتى نحوه من بين اسماء المشتركين ففعل به كما
فعل بالاول ثم وصل اليه الثالث ففعل به كذلك والى الان لم يفهم ان الضياء
لا يمكن ان يقطع عنه ما دام اسمه مجهولاً عندنا ونحن نعلم انه مظلوم بارسال الضياء
اليه والضياء مظلوم بان يرسل اليه مثله ولكن من لنا بان نعرف اسمه حتى نغفيه من
الضياء ونعفي انفسنا من هذا العناء